دور مسيحيّي لبنان والمشرق
في النضالات الاجتماعيّة والسياسيّة

الدكتور بطرس لبكي*

تمهيد

قبل كلّ شيء، لا بدّ من وضع إطار لهذا الموضوع على صعيدَي المكان والزمان.

فعلى صعيد المكان، سوف يشمل البحث منطقة الشرق العربيّ مع بعض التوغّل في أصقاع غير عربيّة من مناطق كانت تنتمي إلى الأمبراطوريّة العثمانيّة. لكنّه سيكون مركّزًا على لبنان في ما يعود إلى الحقبة الحديثة.

وعلى صعيد الزمان، يغطّي هذا البحث السنين المئة والخمسين الأخيرة، مع التركيز على آخر نصف قرنٍ وخاصّة على حقبة (١٩٥٥-١٩٧٥).

من جهة أخرى، فإنّ هذا البحث لا يدّعي الشموليّة ولا ينشد أن يكون تأريخ الالتزام الذي نحن بصدده، لكنّه يسعى بالأحرى إلى إبراز الخطوط الكبرى لهذه الظاهرة توصُّلًا إلى القضايا التي تطرحها.

(*) نائب رئيس مجلس الإنماء والإعمار في لبنان.

أوّلًا: ملاحظات أوّليّة

ثمّة ملاحظتان أوّليّتان لا بدّ منهما لتوضيح عرضنا، وهما تتعلّقان بالتنظيم الاجتماعيّ لمسيحيّي الشرق العربيّ، ووضعهم في مجتمعاتهم الكبرى.

ففي ما يخصّ التنظيم الاجتماعيّ عند مسيحيّي الشرق وكنائسهم، فإنّ الكنائس المسيحيّة الشرقيّة هي طوائف، والطوائف جماعات اجتماعيّة يربطها أصلًا إيمان واحد وطقوس دينيّة. ولهذه الطوائف المكوّنة على مرّ التاريخ أجهزتها الدينيّة الخاصّة. أمّا بنى هذه الأجهزة فتتفاوت وتتنوّع بين طائفة وأخرى، وهي ذات أدوار متعدّدة، بغضّ النظر عن دورها الدينيّ الصرف. فهي تشرف على جهاز الطائفة القضائيّ المختصّ بشؤون الأحوال الشخصيّة. وغالبًا ما تشرف على الشبكات المدرسيّة والجامعات التابعة للطوائف. كما تشرف جزئيًّا على الجمعيّات الطائفيّة المتعدّدة، وعلى المؤسّسات الاجتماعيّة والخيريّة، والمستوصفات والهيئات الثقافيّة والأندية والحركات الشبيبيّة، والجمعيّات ذات الغايات الدينيّة البحتة. إنّ معظم الطوائف تملك عقارات تكوّن مصادر دخل لأجهزتها ومؤسّساتها. ولدى الطوائف غالبًا هيئات تمثيليّة تُدعى «المجالس»، كما تتمثّل أحيانًا في مختلف هيئات السلطة السياسيّة والإدارة العامّة. وكثيرًا ما تكون لهذه الطوائف علاقات مميّزة بالمراكز العالميّة أو الإقليميّة للعائلات الروحيّة التي تنتمي إليها. كما أنّها تُقيم علاقات سياسيّة عربيّة ودولية خاصّة.

فضلًا عن ذلك، فإنّه غالبًا ما يكون للطائفة موقف خاصّ وموحّد نسبيًّا في ما يتعلّق بالقضايا الأساسيّة المطروحة في البلاد. كما أنّها تسم بسمات إيديولوجيّة غالبًا ما تتجلّى بأشكال متنوّعة. وينمّ التعبير عن المواقف والإيديولوجيّات، جزئيًّا، من خلال وسائل الإعلام (جرائد، مجلّات، إذاعات، تلفزيونات) المرتبطة بالطائفة إلى حدّ ما، وبطرق شتّى.

على الصعيد الاجتماعيّ - الديموغرافيّ، غالبًا ما يتداخل التوزّع

الجغرافيّ لسكن أبناء طائفة معيّنة مع توزّع طوائف أخرى، على رغم الميل إلى التركّز الجغرافيّ الطائفيّ في المجتمع الريفيّ، وعلى الأخصّ في المدن.

على صعيد آخر، وبموازاة سمات ثقافيّة مشتركة بين جميع الطوائف، تتمتّع هذه الأخيرة ببعض السمات الثقافيّة الخاصّة، تتأتّى غالبًا من ممارسات دينيّة، وتظهر أحيانًا عبر مجموعة عادات غذائيّة وكسائيّة ولفظيّة، متعلّقة بوضع المرأة وببنية الأسرة، إضافةً إلى عادات أخرى، (طقوس دينيّة، أعياد خاصّة، إلخ). ثمّ إنّ قوّة الزواج اللُّحميّ داخل الطائفة، تجعل منها شبكة قرابة[1].

من جهة أخرى، وفي ما يتعلّق بوضع الطوائف المسيحيّة الشرقيّة في مجتمعها الواسع، فإنّها كانت تخضع في علاقاتها مع الدول الإسلاميّة التي تنتمي إليها لنظام «الذمّة»، الذي هو عقد حماية - إذعان يكرّس تفاوت الأوضاع بين «أهل الكتاب» والمسلمين، مع الحفاظ مبدئيًّا على معتقدات الأوّلين. وكان تفاوت الأوضاع هذا يشمل مختلف مجالات الحياة:

- دفع ضريبة أعناق مقابل الإعفاء من الخدمة العسكريّة.
- منع حمل السلاح، وأحيانًا ركوب الخيل في حاضرة إسلاميّة.
- الإلزام بالمشي لجهة اليسار عند التقاء شخص مسلم.
- الإلزام بالمشي في طاروق المدينة (مجرى الماء) عند التقاء شخص مسلم.
- ممنوعات متعلّقة بالثياب.
- تقييد الحقّ في بناء الكنائس.
- إستحالة الوصول إلى بعض المناصب السياسيّة والإداريّة[2].

---

(١) Boutros Labaki: «Stratification socio-économique et inégalités dans le Liban actuel et d'avant guerre», in *Le droit à la différence pour plus de justice et de liberté*, Publication du CEROC, Paris - Beyrouth, Octobre 1987, p. 68-69.

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر:
Antoine Fattal: *Le statut légal des non - musulmans en pays d'Islam*, Collection «Recherches» publiées sous la direction de l'Institut des Lettres Orientales de Beyrouth, Tome X, Imprimerie Catholique, Beyrouth 1958 (395 pages).

وقد دامت هذه الحال حتّى القرن التاسع عشر، مع تمايزات مهمّة بحسب العهود والمناطق ومختلف عناصر الأوضاع السياسيّة والديموغرافيّة والاقتصاديّة والدوليّة.

بعد عرض هاتين الملاحظتين الأوّليّتين، ننتقل إلى أساس دور المسيحيّين التاريخيّ في النضالات الاجتماعيّة والسياسيّة.

ثانيًا: الأساس التاريخيّ للالتزام السياسيّ والاجتماعيّ لدى مسيحيّي الشرق العربيّ: إضطرابات القرن التاسع عشر[٣]

ثمّة ثلاثة عناصر تبدو هنا رئيسيّةً لتحديد الأساس التاريخيّ:

أ - تباين وضع مسيحيّي الشرق العربيّ الاجتماعيّ والسياسيّ

لقد كانت هذه الفروق ناجمة عن تنوّع الطوائف المسيحيّة الاجتماعيّ والبيئيّ، التي يمكن تصنيفها على نحو مبسّط كما يلي:

- طوائف فلاّحي السهول.
- الطوائف الجبليّة، الزراعيّة - الرعويّة.
- الطوائف المدينيّة التي كانت تتدرّج على عدّة مستويات من المراتب الاجتماعيّة والنشاط الاقتصاديّ: حرفيّون، تجّار (صغار وكبار)، أصحاب أموال، كتبة، أدباء، إكليروس، إلخ...

كان فلاّحو السهول هم الأكثر حرمانًا، وأهل المدن ذوي أوضاع متوسّطة، ولكن أكثر استقلاليّة. كذلك، كانت المناطق ذات الكثافة السكّانيّة المسيحيّة تتمتّع بمزيد من الاستقلاليّة.

ب - مسيحيّو الشرق العربيّ، أصداء الثورة الفرنسيّة، نضالات تحرّر شعوب البلقان المسيحيّة والتوسّع الأوروبيّ[٤]

منذ النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، اطّلع عدد من المسيحيّين

---

(٣) Théodor Hanf: «Les communautés chrétiennes dans le changement social du Proche - Orient Arabe», in *Le droit à la différence...*, *op. cit.*, p. 109-110.

(٤) Boutros Labaki: «Stratification...» *op. cit.*, p. 73 à 76; et Théodor Hanf: «Les communautés...,» *op. cit.*, p. 111-112.

الشرقيّين على المُثُل التي تنادي بها الثورة الفرنسيّة: حرّيّة، إخاء، مساواة؛ وعلى نضالات تحرّر اليونانيّين والبلغاريّين والصربيّين والرومانيّين... فكان لا بدّ من أن يؤثّر ذلك تدريجًا في مواقفهم وتوقّعاتهم. كما كان من شأن توسّع الدول الأوروبيّة الاقتصاديّ والعسكريّ والثقافيّ والسياسيّ، إضافة إلى عمل الإرساليّات الدينيّة، أن يعزّز هذه التوقّعات.

من جهة أخرى، فإنّ الإصلاحات العثمانيّة المعلنة في ١٨٣٩ و١٨٥٦ (التنظيمات) اتّجهت نحو المساواة النظريّة بين أوضاع رعايا السلطنة، أيًّا يكون أصلهم القوميّ والدينيّ، ونحو أوربة المؤسّسات الإداريّة والقضائيّة والاقتصاديّة... ومن ثمّ السياسيّة.

لقد كانت كلّ هذه التحوّلات تعمل لصالح تحسين أوضاع مسيحيّي الأمبراطوريّة العثمانيّة، ومنهم مسيحيّو الشرق العربيّ. إلاّ أنّه كانت لدى هؤلاء إستراتيجيّات مختلفة للتحرّر من وضعهم كأهل ذمّة.

ج - مختلف الإستراتيجيّات التحرّريّة لمسيحيّي الأقاليم الآسيويّة داخل الأمبراطوريّة العثمانيّة

يمكن تصنيف هذه الإستراتيجيّات، ابتداءً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، تحت ثلاثة عناوين رئيسة[٥]:

- إنشاء دولة قوميّة على الطراز البلقانيّ: وهذه إستراتيجيّة الحركات الوطنيّة الأرمنيّة والأشوريّة.

- الحركات الإيديولوجيّة والسياسيّة المنادية بالمساواة: والتي نادت بالقوميّة العثمانيّة، فالعربيّة، فالسوريّة، والليبراليّة، ثمّ الاشتراكيّة. وكانت هذه إستراتيجيّة قسم كبير من النخب المسيحيّة في سورية ولبنان ومصر وفلسطين.

(٥) Théodor Hanf, *op. cit.*, p. 112 à 114.

- التعايش التعدّديّ في ظلّ تساوي الأوضاع وتوازن موازين القوى: وكان هذا خيار أكثريّة نُخَب لبنان المسيحيّة، الذي ساهم في إنشاء الدولة اللبنانيّة الحاليّة.

أمّا وقد بيّنّا عناصر الأساس التاريخيّ، فصار في وسعنا أن نعرض بسرعة أهمّ خصائص دور مسيحيّي الشرق العربيّ في النضالات السياسيّة والاجتماعيّة في عهد السلطنة العثمانيّة قبل الحرب العالميّة الأولى، ثمّ في عهد الانتداب بين الحربيْن، لنصل أخيرًا إلى صلب موضوعنا الذي يتعلّق بزمن ما بعد الحرب العالميّة الثانية، وخصوصًا بالسنوات الواقعة بين ١٩٥٥ و١٩٧٥.

ثالثًا: مسيحيّو الشرق العربيّ وحركات التحرّر في عهد السلطنة العثمانيّة[٦]

في هذا الوضع المضطرب الذي ساد النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، شارك مسيحيّو الشرق العربيّ بأشكال عديدة في نضالات التحرّر التي كانت تُخاض داخل الأمبراطوريّة العثمانيّة.

---

(٦) عصام خليفة: «البطريرك بولس مسعد: مقدّمة للإطار التاريخي لنشأته ولمشكلة السلطة في ثورة كسروان، ١٨٥٨-١٨٥٩» في أعمال المؤتمر حول «مدرسة روما الشرقيّة ١٥٨٤-١٩٨٤» المنعقد في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة في الجامعة اللبنانيّة (أيّار ١٩٨٤)؛ منشور في العدد رقم ١٦-١٧ من مجلّة دراسات الصادرة عن كلّيّة التربية - الجامعة اللبنانيّة، بيروت ١٩٨٥، ص ٩٣ إلى ١٤١.
Théodore Hanf, *op. cit.*, p. 112 à 114
- جورج أنطونيوس: النهضة العربيّة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩.
- عصام خليفة: «أرشيف وزارة الخارجيّة الفرنسيّة وأهمّيّته كمرجع لتاريخ لبنان (١٩٠٨-١٩٤٥)»، في أعمال المؤتمر حول «أرشيف تاريخ لبنان» المنعقد في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة - الجامعة اللبنانيّة، (أيّار ١٩٨٣)، منشور في العدد رقم ١٣-١٤ من مجلّة دراسات الصادرة عن كلّيّة التربية - الجامعة اللبنانيّة ١٩٨٤، بيروت، ص ٧٩ إلى ١٤٣.
- ألبرت حوراني: الفكر العربيّ وعصر التحرّر، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٨.

أ - الحركات الفلّاحيّة

منذ نهاية القرن الثامن عشر، ظهرت في جبل لبنان وبخاصّة في دساكره المسيحيّة ثورات فلّاحيّة في وجه التعسّف الضريبيّ وتجاوزات «ملتزمي» الضرائب. وتكفي الإشارة إلى ثورة حمّانا العامّيّة ثمّ إلى ثورة لحفد، وأخيرًا إلى ثورة كسروان في ١٨٥٨ مرورًا بعامّيّة أنطلياس في ١٨٤٠. وقد قامت الكنيسة المارونيّة بخاصّة بدورٍ لا يُستهان به في هذه الحركات، لاسيّما في منطقة كسروان. فالبطريرك الماروني بولس مسعد كان الزعيم الحقيقيّ والموجّه الخفيّ للثورة التي قادها طانيوس شاهين. كذلك، قام مسيحيّو جبل الدروز في حوران بدورٍ مهمّ في النضال ضدّ أعيان المنطقة.

ب - «التنظيمات» والحركات المدينيّة

لقد كان للإصلاحات المستلْهِمَة الطروحات الأوروبيّة والمناصرة المساواة التي باشرتها السلطنة العثمانيّة في أواخر النصف الأوّل من القرن التاسع عشر، تحت اسم «التنظيمات»، صدى إيجابيّ جدًّا بين مسيحيّي مدن السلطنة، الذين وجدوا فيها بداية تحقّق مُثُل الثورة الفرنسيّة التي كانوا أخذوا يسمعون عنها. وقد عانى هؤلاء المسيحيّون من ردود الفعل التي كانت تعادي الإصلاحات داخل الأوساط الإسلاميّة المحافظة، والتي تحوّلت أحياناً إلى فتن ومجازر.

ج - الحركات القوميّة

منذ منتصف القرن التاسع عشر، ظهرت في بيروت بوجه خاصّ بذور ما عُرِفَ بالنزعات القوميّة، العربيّة منها والسوريّة. ويمكن أن نذكر هنا أسماء شهيرة كـ«اليازجي» و«البستانيّ» و«العازوريّ» وغيرهم من المفكّرين المتأثّرين بالإرساليّة البروتستانتيّة في «الكلّيّة السوريّة البروتستانتيّة» التي أصبحت الجامعة الأميركيّة في بيروت.

د - الحركات الليبراليّة والاشتراكيّة

ثمّة تيّارات ليبراليّة واشتراكيّة انتشرت خاصّة وسط المثقّفين المسيحيّين الشوام من أبناء المدن المصريّة الكبرى، كالقاهرة والإسكندريّة. ويمكن أن نذكر منهم «فرح أنطون، شبلي الشميّل، أنطون مارون، ونقولا حدّاد» (والأربعة من أصل لبنانيّ). إنّ الحركات الليبراليّة كانت تُنادي بحياة سياسيّة تستلهم ديموقراطيّات الغرب الليبراليّة، في حين كانت الحركات الاشتراكيّةُ النزعة متأثّرةً بالاشتراكيّة الديموقراطيّة الناشئة في أوروبّا آنذاك.

هـ - الحركة القوميّة اللبنانيّة

مع نهاية القرن الماضي، برز تيّار فكريّ ينادي بدولة لبنانيّة قوميّة ضمن حدود لبنان الحاليّة. وابتداءً من تلك الفترة، أخذ يتكلّم باسم هذا التيّار مثقّفون وصحافيّون وكتّاب وموظّفون كبار وسياسيّون أمثال «بولس نجيم» و«أنطون الجميّل» و«يوسف السودا».

رابعًا: مسيحيّو الشرق العربيّ وحركات التحرّر السياسيّ والاجتماعيّ في عهد الانتداب بين الحربين العالميّتين ١٩١٨-١٩٤٥[٧]

هنا بدأت حقبة جديدة من تاريخ الشرق العربيّ كانت امتدادًا جزئيًا للحقبة العثمانيّة، وتمهيدًا للتطوّرات السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة المعاصرة.

---

(٧) عصام خليفة: «أرشيف...»، المرجع المذكور آنفًا.

- Jaques Couland: *Le mouvement syndical au Liban 1515-1546*, Editions Sociales, Paris, 1970, p. 16.
- Michael Suleiman: *Political parties in Lebanon*, Ithaca - New York, Carwell University Press, 1967.
- Théodor Hanf, art. cit., p. 129-131.

أ - الحركة القوميّة العربيّة بقيادة الأمير فيصل

إن هذه الحركة الناشئة في بداية القرن الحاليّ استقطبت في أثناء الحرب العالميّة الأولى هاشميّي الحجاز، وقادت ثورة في وجه العثمانيّين بدعم من الإنكليز في النصف الثاني من هذه الحرب. وبعدما نشل الهاشميّون وأنصارهم طوال أكثر من سنتين (١٩١٨-١٩٢٠) في إقامة مملكة عربيّة سوريّة بقيادة فيصل، فقد حكموا العراق وشرق الأردنّ في ظلّ انتداب بريطانيّ جديد. وظهر بين قادة هذه الحركة في سورية ولبنان عدد كبير من المثقّفين المسيحيّين، نذكر منهم «عمّون» و«بركات».

ب - الحركات الشيوعيّة

إنّ دخول الشيوعيّة إلى الشرق العربيّ تمّ أوّلًا انطلاقًا من مصر، وتحديدًا من أوساطها العمّاليّة في صناعة التبغ بوجه خاصّ. وكان أوّل المناضلين العمّاليّين الشيوعيّين من أبناء الأقليّتين الأرمنيّة والمارونيّة. وفي هذا الصدد، يجدر أن نذكر اسم «أنطون مارون» (محام مارونيّ) من زحلة - لبنان، إذ اعتُبر أوّل شهيد للحركة الشيوعيّة المصريّة. أمّا في لبنان وفي الأوساط نفسها، فيمكن أن نذكر أسماء «يوسف إبراهيم يزبك، وإسكندر الرياشي، وفؤاد الشمالي» بين مؤسّسي الحركة الشيوعيّة اللبنانيّة في العشرينات، والتي كان جميعُ قادتها مسيحيّين وأصل غالبيّتهم من بلدة بكفيّا.

وكان الوضع في سورية والعراق وفلسطين مماثلًا.

ج - الحركة القوميّة المنادية بـ «سورية الكبرى»

تأسّست هذه الحركة، التي انتظمت ابتداءً من ١٩٣٣ في «الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ»، بقيادة أنطون سعادة ومجموعة من المثقّفين اللبنانيّين والسوريّين والفلسطينيّين الذين كانت غالبيّتهم من المسيحيّين.

ناضلت هذه الحركة في وجه الانتداب وفي سبيل وحدة سورية الكبرى أو «الهلال الخصيب»، الذي يشمل فلسطين وشرق الأردنّ ولبنان والأردنّ والعراق وسورية ثمّ الكويت وقبرص.

د - الحركة القوميّة اللبنانيّة

تأسّست في غضون هذه الحقبة، وكان جهازها الأكثر تنظيمًا هو حزب الكتائب اللبنانيّة الذي تأسّس سنة ١٩٣٦ على يد مجموعة من المثقّفين والكوادر المسيحيّين (بيار الجميّل، شارل حلو، جورج نقّاش، إميل ياردـ وشفيق ناصيف).

كانت هذه الحركة تنادي بإنشاء دولة قوميّة لبنانيّة مستقلّة ومتعدّدة الطوائف، وبالدفاع عنها.

هـ - التحالفات البرلمانيّة الطابع في سبيل الاستقلال، في لبنان وسورية ومصر

خلال هذه الحقبة، ظهرت أولى التحالفات ذات الطابع البرلماني بين وجهاء مسيحيّين ومسلمين، متمحورة على النضال في سبيل الاستقلال: الحزب الدستوريّ في لبنان؛ الكتلة الوطنيّة في سورية؛ وحزب الوفد في مصر.

ومن قادة هذه التحالفات المسيحيّين، يمكن أن نذكر أسماء «بشارة الخوري وهنري فرعون» في لبنان؛ و«فارس الخوري» في سورية؛ و«مكرم عبيد» في مصر.

و - ولادة الحركة النقابيّة ونموّها

إنّ هذه الظاهرة التي ارتبطت أصلًا بمصير الحركة الشيوعيّة، نشأت في المدن وفي القطاعات الحديثة والمرتبطة بالرأسمال الأجنبيّ.

وهنا أيضًا، كان المسيحيّون ممثّلين بقوّة في أساس الحركة وخصوصًا في قيادتها.

خامسًا: مسيحيّو الشرق العربيّ في نضالات زمن الاستقلال بعد الحرب العالميّة الثانية

تتميّز هذه الفترة بتحوّلات سريعة كانت تهيّأ في عهد الانتداب بين الحربين العالميّتين: تحوّلات سياسيّة، وعسكريّة، واجتماعيّة واقتصاديّة.

ويمكننا تقسيمها إلى مرحلتين: مرحلة التحوّلات الأوّليّة ١٩٤٥-١٩٥٥، ومرحلة التحوّلات السريعة والشديدة ١٩٥٥-١٩٧٥.

أ - مرحلة التحوّلات الأوّليّة ١٩٤٥-١٩٥٥

في هذه المرحلة، تلقّت الأنظمة السياسيّة والاجتماعيّة - الاقتصاديّة التي أنشأها الانتداب الفرنسيّ والبريطانيّ أولى الضربات العنيفة.

○ الحرب العربيّة - الإسرائيليّة الأولى ١٩٤٨-١٩٤٩: إنّ هذه الحرب التي نجمت عن إنشاء دولة إسرائيل ونزوح أغلبيّة الفلسطينيّين عن أرضهم، زعزعت شرعيّة الأنظمة البرلمانيّة الطابع التي يقودها وجهاء وأعيان (لاسيّما في سورية ومصر)، وعزّزت الحركات القوميّة العربيّة والسوريّة. لكنّها أضعفت الحركة الشيوعيّة بسبب موقف الاتّحاد السوفياتيّ في هذه الحرب.

○ الانقلابات وبدايات التحوّلات الاجتماعيّة: تمخّض تزعزع الأنظمة السياسيّة الذي أشرنا إليه آنفًا عن سلسلة انقلابات في سورية ومصر. ونتج من هذه الانقلابات ضعف تدريجيّ للفئات الحاكمة السابقة وظهور نُخَب جديدة متحدّرة من الطبقات الوسطى المدينيّة والريفيّة. كما تجلّت هذه التحوّلات ببداية تغيّرات اجتماعيّة واقتصاديّة.

هنا، كان موقف المسيحيّين الملتزمين الحركات السياسيّة والاجتماعيّة متمثّلًا بردّ الفعل أكثر منه بالفعل، وقد كانوا في جانبي الصراع. على أنّ الظاهرة الجديدة التي اضطلع فيها مثقّفون مسيحيّون بدور مهمّ هي نموّ حركة القوميّين العرب التي كان المفكّر السوريّ قسطنطين زريق أباها الروحيّ، والطبيب الفلسطينيّ جورج حبش زعيمها السياسيّ.

ب - التزام المسيحيّين ومرحلة التحوّلات السريعة والشديدة ١٩٥٥-١٩٧٥

إتّسمت هذه المرحلة بصعود الناصريّة، وبالصراعات السياسيّة

الداخليّة والخارجيّة التي رافقتها في الشرق العربيّ، كما بالتحوّلات الاقتصاديّة والاجتماعيّة السريعة التي كانت ملامحها قد بانت سابقًا.

○ الأوضاع

سنحلّلها على المستويات الثلاثة: الإقليميّ واللبنانيّ والكنسيّ.

+ الوضع الإقليميّ

إتّصف هذا الوضع بسلسلة نزاعات وتغيّرات سنرسم في ما يلي خطوطها الكبرى:

- **إنجاز الاستقلالات السياسيّة في الشرق العربيّ**: ففي هذه الحقبة، تحرّرت مصر والعراق من الوجود العسكريّ الغربيّ، وأنهى الأردنّ علاقاته التفضيليّة مع بريطانيا. وغادر الإنكليز عدن وبلدان الخليج في حين نال السودان استقلاله السياسيّ. في هذا الوقت كان كلّ من لبنان وسورية قد نالا استقلالهما السياسيّ وانسحبت منهما الجيوش الفرنسيّة في مطلع الأربعينات.

- **النضالات في سبيل الاستقلال الاقتصاديّ**: بدأت هذه النضالات بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ إضافةً إلى الاستثمارات الأوروبيّة في مصر. وحذت سورية حذو مصر عام ١٩٦٠.

في النصف الثاني من الستّينات، وصلت هذه الحركة إلى العراق فطاولت القطاع النفطيّ بوجه خاصّ. ثمّ امتدّت في بداية السبعينات إلى ليبيا وإلى بلدان الخليج بشأن القطاع نفسه. وفي نهاية الفترة (١٩٧٥)، كانت بلدان الشرق العربيّ قد قبضت على زمام الأمر في قطاعات مهمّة من نشاطها الاقتصاديّ.

- **الاشتراكيّة العربيّة**: إنّ الأنظمة الجديدة التي نشأت في مصر وسورية والعراق وليبيا واليمن أقامت نظامًا اقتصاديًّا يضطلع فيه القطاع العامّ بدور مهيمن، وأجرت إصلاحات زراعيّة قوّضت قواعد الوجهاء التقليديّين الاقتصاديّة والاجتماعيّة. وأتاح النظام الاقتصاديّ الجديد

توطيد سلطة النُخَب الجديدة الحاكمة من خلال السيطرة التي منحها إيّاها على مختلف أوجه الحياة الاقتصاديّة.

- النكسات الأولى: على أنّ هذا الاتّجاه العامّ نحو الاستقلال السياسيّ والاقتصاديّ وتعزيز سلطة النُخَب الجديدة بدأ ينعكس جزئيًّا.

وكان سقوط «الوحدة السوريّة - المصريّة» سنة ١٩٦١ أوّل إشارة إلى ذلك. ثمّ جاءت حرب اليمن ابتداء من ١٩٦٢ لتعيق هذا التوجّه، فيما شكّلت هزيمة ١٩٦٧ العربيّة نكسة حقيقيّة في هذا المسار نحو الاستقلال. ونتج من ذلك، خصوصًا منذ ١٩٧٠، تنامي الوجود الاقتصاديّ الغربيّ بشكلٍ ما وبداية اتّجاه نحو توسّع القطاع الخاصّ في مصر وسورية.

- الحركة الفلسطينيّة وتقلّباتها: إنّ هذه الحركة التي نشأت سرًّا في أواخر الخمسينات لم تنمُ فعلًا إلاّ بعد هزيمة ١٩٦٧ العربيّة، وقد شاءت أن تكون ردًّا فلسطينيًّا على ما تعتبره هزيمة «المعالجة القوميّة العربيّة» للقضيّة الفلسطينيّة. بناء عليه، تمركزت تنظيمات الحركة الفلسطينيّة المسلّحة المدعومة من عدّة دول عربيّة، في الأردنّ ولبنان حيث حاولت أن تسيطر على السلطة تدريجًا. فلم يتأخّر ردّ فعل الحكم والمجتمع المدنيّ في شرق الأردنّ حيث أزيل الوجود العسكريّ الفلسطينيّ في ١٩٧٠-١٩٧١. لأجل ذلك، أخذت التنظيمات الفلسطينيّة المسلّحة تسرّع تمركزها في لبنان منذ ذلك التاريخ، مثيرةً ردود فعل الدولة وقطاعات متزايدة من الشعب اللبنانيّ. وهذه الردود الفعل الشعبيّة، التي كانت محصورة أوّلًا في الوسط المسيحيّ، امتدّت شيئًا فشيئًا إلى طوائف أخرى، وخاصّة إلى الطائفة الشيعيّة.

لقد سبّب هذا الوضع حروبًا كثيرةً، وتدمير لبنان تدريجًا، ومن ثمّ إضعاف جميع الحركات الفلسطينيّة.

وفي إطار بحثنا، تجدر الإشارة إلى وجود كثرة من المثقّفين المسيحيّين على رأس مختلف التنظيمات الفلسطينيّة. فاسما «جورج حبش» و«نايف حواتمه» هما الأكثر شهرة على رأس «الجبهة الشعبيّة

لتحرير فلسطين» و«الجبهة الديموقراطيّة لتحرير فلسطين». ويمكن أن نضيف إليهما، في عداد تنظيمات أخرى، أسماء «كمال ناصر» و«ناجي علّوش» و«منير شفيق عسل» و«أوجين مخلوف» و«إلياس شوفاني» و«بشارة خضر» في منظّمة فتح؛ واسم «حنّا بطحيش» في منظّمة الصاعقة؛ و«إميل توما» و«إميل حبيبي» و«توفيق الطّيبي» في الحركة الشيوعيّة الفلسطينيّة؛ وأسماء قيادات مستقلّة مثل «حنّا ناصر» و«أنطوان عطاالله» و«إلياس فريج» وغيرهم من زعماء الضفّة الغربيّة[٨]؛ و«حبيب قهوجي» و«صبري جريس» من زعماء الحركات الفلسطينيّة التي نشأت في الأراضي المحتلّة عام ١٩٤٨.

+ الوضع اللبنانيّ

في هذه المدّة، كان لبنان يعيش حالة ازدهار اقتصاديّ لا مثيل لها في تاريخه المعاصر، ويشهد تحديث المجتمع. وقد اتّسم هذا الوضع بتحوّلات مصحوبة بتغيّرات ديموغرافيّة وثقافيّة سريعة.

- إزدهار اقتصاديّ وعصرنة المجتمع ١٩٥٥-١٩٥٨: إنّ الأحوال الاقتصاديّة في هذه الحقبة (بداية استخراج النفط في بلدان الخليج، وهروب الرساميل والكفايات البشريّة من فلسطين ومصر ثمّ من سورية إلى لبنان)، والنظام الاقتصاديّ الحرّ القائم في البلاد ساعدت على تحقيق نموّ اقتصاديّ متمحور خاصّة على قطاع تصدير الخدمات والسلع إلى بلدان الشرق العربيّ.

كذلك، أخذ المجتمع يشهد نموّ المدن المتسارع، وانتشار التعليم وبداية تحديث أجهزة الدولة.

على أنّ أحداث ١٩٥٨ وضعت حدًّا لهذه الفترة. وكانت نتيجة تداخل الوضع السياسيّ الإقليميّ (صعود الناصريّة، أزمة السويس، الوحدة السوريّة - المصريّة) والوضع السياسيّ اللبنانيّ (نزاعات بين

(٨) - Théodor Hanf, art. cit, p. 129-131.

الرئيس شمعون ذي النزعة المعصرنة الممركزة للسلطة الموالية الغرب ومعارضة أكثريّة الوجهاء التقليديّين الموالين الناصريّة والمهدِّدين بالتوجّه نحو تعزيز سلطة الدولة المركزيّة).

- تجربة إصلاح من فوق وتعزيز الدولة المعصرنة: الشهابيّة: لقد أدّت «الثورة» و«الثورة المضادّة» عام ١٩٥٨، والوضع الإقليميّ المستجدّ (تقارب ناصريّ - أميركيّ) إلى إقامة حكم يجمع على نحو أوسع مجمل التشكيلات السياسيّة، ويسرّع الإصلاحات ويُحدِّث الدولة ألا وهو الحكم الشهابيّ. وكان شعارا الحكم آنذاك (١٩٥٨-١٩٦٤): «وحدة وطنيّة» و«عدالة اجتماعيّة»، معبِّرين عن الحرص على إشراك جميع الطوائف والمناطق والفئات الاجتماعيّة في مسيرة تحديث المجتمع والدولة والنموّ الاقتصاديّ.

- أوجه الشهابيّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة: إنّ الاهتمام المطلق الذي أولته السلطة آنذاك القضايا الاقتصاديّة والاجتماعيّة تجلّى منذ البداية بالدور المعطى لبعثة «إرفد» برئاسة الأب لويس جوزف لوبريه، التي كُلّفت جرد حاجات لبنان وإمكانات نموّه وإعداد خطط وسياسات في هذا المجال. وكشفت أعمال هذه البعثة، لأوّل مرّة وبصورة منهجيّة، التفاوتات الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي ينطوي عليها النظام اللبنانيّ فكان لها تأثير لا يُستهان به في الرأي العامّ والمثقّفين بوجهٍ خاصّ.

أمّا النصف الثاني من الستّينات الذي كان امتدادًا معدّلًا للشهابيّة، فتميّز بأزمة بنك «أنترا» (أوّل مجموعة ماليّة لبنانيّة ذات فروع دوليّة). والحال أنّ هذه الأزمة، المرتبطة بأولى صعوبات النظام النقديّ الدوليّ وبإدارة قليلة الاحتراس، سرّعت سياق انتقاد النظام الاقتصاديّ اللبنانيّ. وأثّرت في الاتّجاه عينه انعكاسات حرب حزيران ١٩٦٧، والأزمات السياسيّة والاقتصاديّة التي تلتها حتّى عام ١٩٧٠.

- الحركات السياسيّة والاجتماعيّة ١٩٥٨-١٩٦٧: إتّسمت هذه الفترة بصعود مختلف الحركات السياسيّة ذات الأكثريّة الطائفيّة. ففي

الأوساط الإسلاميّة السنّيّة، انتشرت مجموعة حركات تستلهم الناصريّة. وبدأ الإمام موسى الصدر تدريجًا تنظيمَ حركة لتوحيد الطائفة الشيعيّة وعصرنتها. وفي الأوساط المسيحيّة، أخذت ترتسم في النصف الثاني من الستّينات بداية انتفاضة ضدّ أوجه العهد الشهابيّ الاستبداديّة وضدّ الناصريّة، وأدّت إلى قيام حلف ثلاثيّ بين أكبر ثلاثة أحزاب مسيحيّة.

كذلك، تحالف زعماء تقليديّون مهمّون من الموارنة والشيعة والسنّة في المنحى ذاته الذي نحاه الحلف الثلاثيّ. (الرؤساء فرنجيّة وسلام والأسعد).

وفي الطرف الآخر من المسرح السياسيّ والاجتماعيّ، بدأت الحركات اليساريّة ذات النزعتين الماركسيّة والقوميّة العربيّة تنتشر في أوساط الطلاّب والمثقّفين وفي بعض شرائح الأوساط الشعبيّة.

- إنعكاسات حرب حزيران ١٩٦٧ على لبنان: كانت لهزيمة حزيران ١٩٦٧ العربيّة مضاعفات شديدة على لبنان، ويمكن اعتبارها من عدّة نواحٍ أنّها في أساس التفجّر الذي أصاب البلاد بعد فترة (١٩٧٥-١٩٩٠). وقد تميّزت هذه الحقبة، قبل كلّ شيء، بإضعاف سلطة الدولة تدريجًا نتيجة تفكّك البنى الشهابيّة، إذ فقدت هذه البنى شيئًا فشيئًا قوّة دعمها الناصريّ بعدما ضعُفت الناصريّة في عواقب حرب حزيران ١٩٦٧.

على الصعيد المحلّيّ، راحت هذه البنى تخضع أكثر فأكثر لتحدّي التحريض الفلسطينيّ واليساريّ ولتحدّي الحلف الثلاثيّ المسيحيّ.

وتمخّضت هزيمة حزيران ١٩٦٧ عن نقد البنى السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة بطريقة جذريّة في العالم العربيّ ولبنان بوجه خاصّ. فساعد هذا الجوّ على نموّ تطرّف يساريّ وآخر يؤيّد الفلسطينيّين. كذلك، بدأت تظهر أزمات اجتماعيّة مضيفة نتائجها إلى نتائج الأزمة الوطنيّة.

كلّ ذلك أدّى إلى انتشار الحركات المطلبيّة: في صفوف الطلاّب

والمعلّمين والفلّاحين والمزارعين والعمّال. وأخذ الوضع المحلّيّ يتأثّر أكثر فأكثر بالنزاعات المتواترة بين التنظيمات الفلسطينيّة المسلّحة المتعدّدة وأجهزة الدولة اللبنانيّة المدافعة عن سيادتها على أراضيها.

بموازاة ذلك، نمت حركات اجتماعيّة طائفيّة الطابع: ففي الطوائف المسيحيّة المعبّأة تدريجًا من قبل الحلف الثلاثيّ، ارتسمت بداية مقاومة التعدّيات المتزايدة التي تقوم بها المنظّمات الفلسطينيّة على الأرض اللبنانيّة وعلى سلطة الدولة اللبنانيّة. وفي الطائفة الشيعيّة، أخذت حركة المحرومين بقيادة الإمام موسى الصدر تتبلور، وراحت الطائفة تتأسّس لتصبح فاعليّة سياسيّة مستقلّة على الساحة اللبنانيّة ذات مطالب اقتصاديّة واجتماعيّة وسياسيّة خاصّة بها.

وفي الطائفة السنّيّة، برزت تدريجًا حركة تعبويّة متمحورة على مطالب متعلّقة بمزيد من المشاركة في السلطة، وكانت هذه المطالب تحظى بدعم الوجود الفلسطينيّ المسلّح وتشجيعه، كما كانت تستخدم هذا الوجود لأهدافها الخاصّة.

- سقوط تجربة الإصلاحات الشهابيّة وعودة السلطة التقليديّة ١٩٧٠-١٩٧٥: تميّزت هذه الفترة الأخيرة على المستوى السياسيّ اللبنانيّ بالتصفية المتسارعة لإصلاحات العهد الشهابيّ التحديثيّة: فقد جرى إضعاف مختلف أجهزة الدولة، وتقوية الوجهاء التقليديّين؛ وإضعاف المؤسّسات التي سعت لتحديث الدولة والمجتمع.

وهكذا، أصبح النظام والمجتمع اللبنانيّان أقلّ تهيّؤًا لمواجهة التحدّيات الخارجيّة والداخليّة المطروحة: تجدّد النزاع العربيّ - الإسرائيليّ، تمدّد السلطة الفلسطينيّة المسلّحة، اتّساع نفوذ مختلف الأنظمة العربيّة وإسرائيل داخل لبنان.

فكان من شأن هذا الوضع أن يسهّل نشاط أدوات القوى الخارجيّة الذي تمخّض عن «الحروب من أجل الآخرين» التي دارت على أرض لبنان منذ ١٩٧٥.

+ الوضع على مستوى الكنائس

كذلك، كان التزام المسيحيّين النضال الاجتماعيّ والسياسيّ متأثّرًا بالذهنيّة والتيّارات السائدة في كنائسهم.

- الكنيسة الكاثوليكيّة والمجمع الڤاتيكانيّ الثاني: كانت هذه الكنيسة تعيش عهد المجتمع الڤاتيكانيّ الثاني بمقدّماته ونتائجه. وكانت المسكونيّة هي النزعة الرائجة، فتمّ الشروع في تحديث بُناها ومؤسّساتها وممارستها. كما كان الانفتاح، ولو المتأخّر، على العالم المعاصر، والعالم الثالث بوجه خاصّ، إحدى سمات الوضع الكنسيّ آنذاك.

أخيرًا، خطت الكنيسة خطوات حاسمة باتّجاه الانفتاح على الإسلام والعالم الإسلاميّ.

- تجدّد كنيسة أنطاكية الأرثوذكسيّة: إنّ هذا التجدّد، الذي بدأ في الأربعينات مع حركة الشبيبة الأرثوذكسيّة، تسارع في الستّينات والسبعينات بوصول أشخاص متحدّرين من هذه الحركة إلى رتب الكهنوت والأسقفيّة والبطريركيّة. وجرت عودة واسعة إلى الأصول وعمليّة تحديث بنى الكنيسة وممارستها. فاستقلّت هذه الكنيسة شيئًا فشيئًا عن أقطابها الخارجيّة التقليديّة وانضمّت إلى مجلس الكنائس العالميّ، وقامت بدور أساسيّ في إنشاء مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي يضمّ كنائس الشرق الأوسط. كذلك، ارتسمت بحذر حركة تقارب وحوار مسكونيّ مع الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة والكنائس الكاثوليكيّة الشرقيّة. أمّا حوار هذه الكنيسة مع الإسلام، فقد بوشر وسجّل شيئًا من التقدّم.

- تجدّد الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة: عرفت هذه الكنيسة حركة تجديديّة على ثلاثة مستويات: المستوى الروحيّ، المستوى الراعويّ والبنى الكنسيّة. وتمخّضت هذه الحركة عن عودة إلى الأصول، ونموّ المؤسّسات الرهبانيّة، وعن توسيع جهاز الكنيسة وتحديثه ليلبّي حاجات المؤمنين المتزايدة. والتزمت هذه الكنيسة تدريجًا مسيرة نضاليّة في سبيل المساواة الحقيقيّة بين الأقباط والمسلمين في المجتمع المصريّ. من جهة

أخرى، شرعت في الانفتاح على العالم الخارجيّ بانضمامها إلى مجلس الكنائس العالميّ وبامتدادها إلى الانتشار القبطيّ في العالم.

أخيرًا، إنّ هذه الكنيسة لا تزال تحاول حماية نفسها من تبشير الكنائس «الشقيقة».

- نَشْرَة المسكونيّة في الكنائس الإنجيليّة: يحاول معظم هذه الكنائس أن يندمج أكثر فأكثر في السياق المسكونيّ، وذلك على المستويات الثلاثة: الدوليّ، والإقليميّ والمحلّيّ. وهي تنضمّ خاصّة إلى البنى المسكونيّة الإقليميّة والمحلّيّة لاجمةً ميولها السابقة إلى التبشير على حساب الكنائس الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة. كما تتطوّر هذه الكنائس باتّجاهين: الابتعاد عن أقطابها الخارجيّة وترسيخ اندماجها في السياق الإقليميّ.

٥ إنبعاث التزام بارز لدى المسيحيّين اللبنانيّين بالنضالات الاجتماعيّة والسياسيّة

إنّ الأوضاع العامّة التي سادت هذه الحقبة (١٩٥٥-١٩٧٥) على المستويات الثلاثة: الإقليميّ واللبنانيّ والكنسيّ، تمخّضت عن انبعاث التزام المسيحيّين اللبنانيّين بالنضالات الاجتماعيّة والسياسيّة المجذّرة التي شهدتها هذه الحقبة. وقد تمّ هذا الانبعاث في مناخ ثقافيّ وإيديولوجيّ خاصّ ومعقّد. فظهر في الأوساط المرتبطة بالكنائس وخارج هذه الأوساط، طارحًا على المسيحيّين وكنائسهم قضايا لا بدّ من أن تحظى باهتمام المفكّرين.

+ مناخ هذا الانبعاث الثقافيّ والإيديولوجيّ

تأثّر هذا المناخ بعدّة عوامل: التحديث في معظم الكنائس، نزعة الإصلاح الاجتماعيّ العصريّة المستوحاة من النزعة الإنسانيّة المسيحيّة المتجسّدة خاصّة في أفكار الأب لوبريه، القوميّة العربيّة والاشتراكيّة العربيّة، التيّارات الماركسيّة المختلفة، النزعة العالمثالثيّة، الإيديولوجيّات

الطائفيّة الشيعيّة المسيحيّة، والتيّارات الفكريّة والسياسيّة المناصرة نضال الفلسطينيّين.

إنّ هذه العوامل المختلفة، المتعارضة جزئيًّا، ساعدت حركات التغيير الاجتماعيّ والسياسيّ والاقتصاديّ، وتحكّمت إلى حدّ بعيد بالمناخ الثقافيّ والإيديولوجيّ الذي كان يُحيط بالمسيحيّين اللبنانيّين الملتزمين اجتماعيًّا وسياسيًّا.

+ مظاهر هذا الانبعاث في الأوساط المرتبطة بالكنائس

إنّ أهمّ مستجدّات هذه الحقبة هو بالتأكيد التزام عدد كبير من المسيحيّين، المنتمين إلى بيئة مرتبطة بالكنائس، النضالات الاجتماعيّة والسياسيّة. وسنُشير في ما يلي إلى أهمّ مظاهر هذا الالتزام.

+ الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة الجامعيّة. الالتزام بالحركة النقابيّة الطلّابيّة (١٩٦٠-١٩٦٨) والانفتاح على قضايا البلاد والعالم العربيّ والعالم الثالث[٩]

كان هذا النوع من الالتزام أسبق من سواه. وقد تجلّى منذ ١٩٦٠ باهتمام متزايد لدى أعضاء هذه الحركة وقادتها بالنشاط النقابيّ الطلّابيّ، وبلغ ذروته بوصول أحد قادة هذه الحركة، «فؤاد المتني»، إلى رئاسة الاتّحاد الوطنيّ للجامعيّين اللبنانيّين، الذي كان آنذاك الهيئة التمثيليّة الوحيدة للطلّاب الجامعيّين. لا شكّ في أنّ هذا الالتزام حدث تحت تأثير تجارب مماثلة في العالم، وخاصّة تجربة الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة الفرنسيّة والألمانيّة. وهي تجارب انتقلت إلى لبنان من خلال انتماء الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة اللبنانيّة إلى الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة الدوليّة ومشاركتها فيها. وفي سياق هذا الالتزام، أصدرت الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة الجامعيّة

---

(٩) في شأن هذا القسم، راجع مجلّة *Positions* التي كانت تصدرها الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة الجامعيّة بين ١٩٦٠ و١٩٦٤، ثمّ مجلّة *Le Cri* في ١٩٦٨-١٩٦٩، وملفّ «كنيسة من أجل عالمنا» المنشور سنة ١٩٦٩ في جريدة لوريان *L'Orient*، بيروت، ص ١٤٥-١٤٩، ١٣٧-١٤٠.

في لبنان، طوال عدّة سنوات نشرة دوريّة باسم «الجامعيّ». كذلك، ساهم أعضاء هذه الحركة بنشاط في إعادة توجيه الاتّحاد الوطنيّ للجامعيّين اللبنانيّين وتحويله إلى حركة نقابيّة للطلّاب الجامعيّين في لبنان. وقد أدّى هذا النوع من الالتزام إلى انفتاح أعضاء الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة على قضايا جميع الطلّاب الجامعيّين اللبنانيّين وعلى قضايا البلاد بأسرها. فأخرجهم تدريجًا من بيئة طائفتهم وجامعاتهم ومجتمعهم، وجعلهم يعون أكثر المشاكل السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة المطروحة في البلاد وفي محيطها الإقليميّ.

إنّ هذا التطوّر الذي أصاب الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة تجلّى في مؤتمراتها ووثائقها باهتمام متزايد بموضوعات ذلك العصر الكبرى: التنمية، الطائفيّة، العروبة، الإسلام، إلخ... وتجسّد هذا النوع من الاهتمام بمؤتمر الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة الجامعيّة المنعقد في «بيت شباب» سنة ١٩٦٤. بعد ذلك، تابعت هذه الحركة اندفاعها حتّى سنة ١٩٦٧ بالاستناد إلى تحليلات مشتركة، وإلى التزام أعضائها الشخصيّ وإلى اتّجاه انفتاحيّ إصلاحيّ على قضايا لبنان والعالم العربيّ والعالم الثالث. ثمّ في ١٩٦٨-١٩٦٩، تجذّرت الحركة تحت تأثير الأوضاع الجديدة الناشئة من حرب ١٩٦٧ على المستوى المحلّيّ والإقليميّ والدوليّ (ثورة ١٩٦٨ الطلّابيّة في الغرب)، وبدأت تلتزم بمقرّرات جماعيّة كانت وثيقة «يسوع الملك» في ١٩٦٩ ذروة التعبير عنها. على أنّ توجّهات هذه الحركة أدّت إلى نزاع مع السلطة الكنسيّة وإلى أزمة لم تتعافَ منها الحركة منذ ذلك الحين.

- **الأنشطة في الوسطين العمّاليّ والشعبيّ**[١٠]: تجدر الإشارة هنا إلى التأثير الريادي لحركة «برادو الشرق» التي أسّست نظيرةً لبنانيّة لها، متمثّلة بمجموعة كهنة ملتزمين بالشهادة في الأوساط الشعبيّة للإنجيل.

---

(١٠) أنظر مجلّة برادو الشرق التي تنشرها جمعيّة كهنة البرادو في لبنان، عددها الخاصّ: «تساؤلات حول كنيستنا» ص ١١٩-١٣٤.

فنشطت هذه الحركة خاصّة في ضاحيتي بيروت الشماليّة والشرقيّة، ولاسيّما في مدن الصفائح (الكرنتينا وحيّ النبعة).

إنّ هذه الحركة، التي نشأت في النصف الثاني من السّتينات، نمت وتنوّعت منذ مطلع السبعينات، واستقطبت مجموعات من العلمانيّين ورجال الدين العاملين في سبيل إنماء الأوساط الشعبيّة إنسانيًّا. وهكذا انتشرت مراكز محو الأميّة، والتربية الشعبيّة، والمراكز الصحيّة - الاجتماعيّة وغيرها من الأنشطة الملحقة.

كما تجدر الإشارة إلى نشاط الشبيبة العاملة المسيحيّة والمجلّة التي كانت تصدرها باسم «الشبيبة العاملة».

- **مؤتمرات المسيحيّين العالميّة من أجل فلسطين:** إنّ هذه المؤتمرات التي نظّمتها، ابتداء من ١٩٦٨، شخصيّات مسيحيّة كنسيّة وعلمانيّة، بالتنسيق مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، كانت أوّل تظاهرة دوليّة يُقيمها مسيحيّون لبنانيّون تضامنًا مع قضيّة الشعب الفلسطينيّ.

- **حركة الإكليريكيّين الصغار:** كانت الغاية من هذه الحركة، التي نشأت في إكليريكيّة غزير المارونيّة، الاحتجاج على إقفالها. واتّخذت حجمًا وشكلًا تجاوزا أهدافها الأساسيّة فكانت أحد ملتقيات عمليّة إعادة النظر في بنى الكنيسة وممارساتها في لبنان، باتّجاه تعاليم المجمع الفاتيكانيّ الثاني. وأثارت نفور بعض أصحاب السلطة الكنسيّة آنذاك.

- **حركة «كنيسة من أجل عالمنا»**[١١]: إنّ هذه الحركة التي تأسّست في السنوات الأخيرة من هذه الحقبة على يد مجموعة متنوّرة من النخبة المسيحيّة العلمانيّة والإكليريكيّة، أرادت أن تكون تجربة تحديثيّة للكنيسة المحلّيّة بغية تمكين هذه الأخيرة من الردّ على التحدّي الذي يُثيره وضع البلاد.

---

(١١) «كنيسة من أجل عالمنا»، أعمال المؤتمر الأوّل لهذه الحركة المنعقد في بيروت بتاريخ ٨ و٩/١٢/١٩٧٣.

- «الحركة الاجتماعيّة» ومجلّة «آفاق»[١٢]: وكلتاهما أسّسهما ونشّطهما مطران بيروت للروم الكاثوليك غريغوار حدّاد، فكانا يعبّران عن وجه مهمّ من أوجه التزام المسيحيّين.

فـ«الحركة الاجتماعيّة»، مع كونها حركة مدنيّة تجمع لبنانيّين من كلّ الأديان، كوّنت إطارًا التزم فيه عدد كبير من المسيحيّين بنشاط قائم على الخدمات الاجتماعيّة والصحّيّة وهادف إلى سدّ النقص في هذه المجالات.

أمّا مجلّة آفاق التي تأسّست في بداية السبعينات، فحاولت أن تكون منبرًا للتفكير على مستويين: أوّلًا، على المستوى اللاهوتيّ، سعت إلى أن تنشر في لبنان أفكار بعض اللاهوتيّين الغربيّين الجدد. ثمّ على المستوى الاجتماعيّ والثقافيّ، حاولت أن تكون لسان حال المسيحيّين الملتزمين هذه الميادين. فاصطدمت هذه المحاولة بمعارضة المراجع الدينيّة الكاثوليكيّة التي اعتبرت الطروحات اللاهوتيّة المعروضة مفرطة في الجرأة.

- «مؤتمر الرؤساء العامّين»: إنّ هذه الهيئة التي تضمّ رؤساء الرهبانيّات الكاثوليكيّة اتّخذت، منذ بداية النزاعات الحادّة بين الميليشيات الفلسطينيّة، من جهة، والجيش اللبنانيّ فالميليشيات اللبنانيّة، من جهة ثانية، موقفًا معارضًا الوجود الفلسطينيّ المسلّح في لبنان وتدخّله في الشؤون اللبنانيّة الداخليّة. وبموازاة هذا المؤتمر، التزم عدد معيّن من الرهبان، من مختلف الرهبانيّات، وفي أشكال شتّى، بمقاومة انتشار الوجود الأجنبيّ المسلّح في لبنان.

+ مظاهر الانبماث خارج الأوساط المرتبطة بالكنيسة

يمكن تصنيف هذه المظاهر في ثلاثة تيّارات تذكّر بتلك التي تجلّت في صفوف المسيحيّين الذين ناضلوا في نهاية عهد السلطنة العثمانيّة في

(١٢) راجع سلسلة أعداد مجلّة آفاق.

سبيل التحرّر من «الذمّيّة»، والتي أشرنا إليها في بداية هذا النصّ.

- **المسيحيّون الذين التزموا العمل لتحرير المجتمع بأسره:** ونجمع تحت هذا العنوان المسيحيّين الذين التزموا بحركات سياسيّة ذات نزعة قوميّة عربيّة، أو قوميّة سوريّة، أو ماركسيّة، أو ديموقراطيّة اشتراكيّة، وبالحركات الفلسطينيّة. كذلك، كان ثمّة أشخاص آخرون تعاطفوا، من غير أن يلتزموا بتنظيمات، مع ما كان يسمّى في أوروبّا «باليسار» ومع القضيّة الفلسطينيّة. يُضاف إلى هؤلاء أيضًا مسيحيّون ملتزمون بنشاطات ذات طابع اجتماعيّ: محو أمّيّة، خدمات صحّيّة - اجتماعيّة، تربية أساسيّة وغير ذلك... إلى جانب عدد من أعضاء حركات العمل الكاثوليكيّ والكهنة والراهبات وأعضاء حركة الشبيبة الأرثوذكسيّة. وفي هذا السياق تألّفت في السنوات الأخيرة التي سبقت اندلاع الحروب عام ١٩٧٥، مجموعة باسم «تجمّع المسيحيّين الملتزمين» وأصدرت ملفًّا دوريًّا باسم «المسيرة»[١٣]. على أنّ هذه المجموعة تفرّقت في بداية حروب لبنان نتيجة أنواع النزاعات التي كشفتها هذه الحروب آنذاك: نزاعات طائفيّة، وعي النزعات التسلّطيّة لدى التنظيمات الفلسطينيّة، وأخيرًا، نزاعات عميقة بين الخيارات السياسيّة لأعضاء هذا التجمّع.

ويذكّر هذا التيّار بتيّار الحركات الإيديولوجيّة والسياسيّة المنادية بالمساواة، الذي كوّن إبرازه استراتيجيّة قسم كبير من نُخَب الشرق العربيّ المسيحيّة في أواخر عهد السلطنة العثمانيّة، والذي تحدّثنا عنه آنفًا.

- **المسيحيّون الذين التزموا الدفاع عن وضعهم المساواتيّ المهدَّد**[١٤]: إنّ هذا التيّار الذي أصبح الأقوى لدى طوائف لبنان المسيحيّة خصوصًا في السنوات الأخيرة التي سبقت اندلاع الحروب العام ١٩٧٥، كان يضمّ أهمّ أحزاب المسيحيّين اللبنانيّين وتجمّعاتهم:

---

(١٣) راجع سلسلة أعداد مجلّة المسيرة.

(١٤) راجع سلسلة الكتيّبات حول «المسألة اللبنانيّة» المنشورة بين ١٩٧٥ و١٩٧٦ من قبل جامعة الروح القدس في الكسليك.

الكتائب، والكتلة الوطنيّة (في أوّل الأمر)، وحزب الوطنيّين الأحرار، إلى جانب تجمّعات أخرى عسكريّة للدفاع الذاتيّ (التنظيم، حرّاس الأرز، إلخ...)، ومجموعات مسيحيّة أخرى سياسيّة - عسكريّة ذات طابع مناطقيّ بقيادة زعماء تقليديّين محلّيّين أو حركات شعبيّة محلّيّة (لواء المقدّمين، لواء قاديشا، مؤسّسة المردة، التجمّع الزحليّ العامّ، لواء عكّار، إلخ). كان هذا التيّار يعتبر الحروب الدائرة في لبنان احتلال البلد من قبل قوى أجنبيّة مسلّحة (منظّمة التحرير الفلسطينيّة ثمّ الجيش السوريّ، وجيوش وتنظيمات عربيّة وغير عربيّة أخرى مسلّحة؛ على أنّ بعض هذه المجموعات كان يصنّف الإسرائيليّين في عداد المحتلّين). وبحسب تحليل هذا التيّار، فإنّ غاية هذه الاحتلالات وهذه الحرب - أو إحدى نتائجها على الأقلّ - هي تهميش دور المسيحيّين اللبنانيّين سياسيًّا واجتماعيًّا وإعادتهم إلى حال «أهل الذمّة» التي تحرّروا منها في غضون القرن الماضي.

إنّ هذه الحروب، من خلال تهجير السكّان الكثيف الذي أثّر في جميع المسيحيّين اللبنانيّين، كانت تهيّئ ميدانيًّا ظاهرة تهميش دور هؤلاء، وتشجّعهم على الهجرة إلى خارج البلاد مؤمّنةً بذلك قاعدة ديموغرافيّة لهيمنةٍ إسلاميّة مستقبليّة على لبنان تحظى افتراضيًّا برعاية العرب ودعمهم. وبناءً على تحليل هذا التيّار، كان الهدف من التزام المسيحيّين الدفاع عن مكتسباتهم السابقة على صعيد تحرّرهم من «الذمّيّة».

داخل هذا التيّار، عبّرت بعض الاتّجاهات عن فقدان إيمانها بالتعايش مع المسلمين، وطالبت بحلّ جغرافيّ للنزاعات اللبنانيّة، إذ يصبح لبنان فدراليّة أو كونفدراليّة مؤلّفة من مناطق متجانسة طائفيًّا ومتمتّعة باستقلال ذاتيّ واسع.

ونلاحظ هنا تشابهًا بإستراتيجيّة الحركات القوميّة الأرمنيّة والأشوريّة عند زوال الأمبراطوريّة العثمانيّة، والرامية إلى إنشاء دولة قوميّة على الطراز البلقانيّ.

- «المسيحيّون التعايشيّون»: إنّ هذا التيّار، الذي هو امتداد تاريخيّ لخيار أغلبيّة النخبة السياسيّة المسيحيّة، هو الشريك المؤسّس لبنان التعايش المتعدّد الطوائف. وقد ضعف بعد ١٩٧٦ مع صعود النزاعات التطرّفيّة من كلّ حدب وصوب.

يتكوّن هذا التيّار من عدد كبير من التجمّعات والشخصيّات السياسيّة إضافة إلى بعض الأحزاب والحركات ذات الطابع العصريّ.

ويمكن أن نصنّف فيه الكتلة الدستوريّة والشهابيّين وبعض الزعماء السياسيّين المسيحيّين التقليديّين، حتّى من بين أولئك الملتزمين ببعض أحزاب التيّار الأوّل (حزب الوطنيّين الأحرار، الكتلة الوطنيّة، الكتائب، المردة)، وفي ما بعد كتلة النوّاب الموارنة المستقلّين.

ويمكن أن نصنّف في فئة أخرى حركات سياسيّة عصريّة ذات نزعات علمانيّة وإصلاحيّة، كالحزب الديمقراطيّ، وخاصّة حركة الوعي. فهذه الأخيرة المؤلّفة بوجه خاصّ من طلاّب وأساتذة مسيحيّين أكثريّتهم مارونيّة ومتحدّرة من أطراف لبنان، ظهرت في الجامعة اللبنانيّة في أواخر السّتينات وكانت ذات توجّه نقابيّ وإصلاحيّ على الصعيد الاجتماعيّ، وذات توجّه وطنيّ وعلمانيّ منفتح على العالم العربيّ على الصعيد السياسيّ.. وقد مثّلت هذه الحركة، الشعبيّة النزعة، دورًا مهمًّا في النضالات المطلبيّة الطلاّبيّة من خلال إنشاء الاتّحاد الوطنيّ لطلاّب الجامعة اللبنانيّة وتولّي قيادته[١٥].

إنّ هذا التيّار التعايشيّ يذكّر باستراتيجيّة التعايش التعدّديّ ضمن تساوي الأوضاع وتوازن موازين القوى بين المسيحيّين والمسلمين، الذي كان خيار أغلبيّة نُخَب لبنان المسيحيّة في نهاية العهد العثمانيّ، والذي ساهم في إنشاء الدولة اللبنانيّة الحاليّة.

(١٥) أنظر منشورات الحزب الديمقراطيّ، وأعداد مجلّة الوعي الصادرة عن حركة الوعي وسلسلة كتيّبات صادرة عن «العلمانيّون الديمقراطيّون» بعنوان: لبنان العربيّ الديمقراطيّ العلمانيّ، بين ١٩٧٧ و١٩٨٠.

+ المسائل التي يُثيرها دور المسيحيّين في النضال الاجتماعيّ والسياسيّ بالشرق العربيّ بوجه خاصّ

لا شكّ في أنّ هذا الالتزام يُثير جملة مسائل هي أكثر تعقيدًا من مثيلاتها في الغرب، بسبب وضع المسيحيّين «الأقلّويّ» والمهمّش في أكثريّة بلدان الشرق العربيّ، باستثناء لبنان، وبسبب وجود معادلة جزئيّة بين الانتماء الطائفيّ والوضع الاجتماعيّ - السياسيّ في هذه المنطقة. وخلافًا لحال المسيحيّين الغربيّين، فإنّ مسيحيّي الشرق العربيّ هم على العموم في أوضاع اجتماعيّة - سياسيّة أدنى من أوضاع الأكثريّة الإسلاميّة. ولهذه الأسباب، ليس من الملائم إجراء تحليل بشأن مسيحيّي الشرق مبنيّ على تجربة مسيحيّي الغرب، لأنّ مسيحيّي الغرب يتحدّرون من تجربة كنيسة سائدة في حين أنّ مسيحيّي الشرق ينتمون إلى كنائس وطوائف مهمَّشة ومحكومة تاريخيًّا. من هنا يُطْرَح نوعان من المسائل الكبرى: النوع الأوّل مشترك بين مسيحيّي الشرق العربيّ ومسيحيّي الغرب ويتعلّق بخيار التزام المسيحيّ الفرديّ والتزام الكنيسة. والنوع الثاني خاصّ بمسيحيّي الشرق العربيّ ويتعلّق بالالتزام من أجل التحرّر من وضع دونيّ و/ أو من أجل الدفاع عن هذه المساواة المكتسبة كما هي الحال في لبنان.

- إلتزام مسيحيّي الشرق العربيّ الفرديّ أو التزام الكنيسة: إذا كان التزام المسيحيّ الفرديّ بالنضالات الاجتماعيّة والسياسيّة يطرح عليه مسائل تتعلّق بفهمه الأمور وبوعيه الدينيّ، فإنّ التزام الكنيسة أو بعض مؤسّساتها الرسميّة يطرح مسائل أخرى وقد يؤدّي إلى أشكال عديدة من الأصوليّة بعد خروج الكنيسة من الأصوليّة اليمينيّة. وقد حُلَّ هذا النوع من المسائل بصيغتين رئيستين:

في الصيغة الأولى، قدّمت الحركات والجمعيّات والتجمّعات الكنسيّة دعمها الروحيّ أو المعنويّ إلى الأعضاء والمناضلين الذين يلتزمون من جهتهم التزامًا فرديًّا. وهذه هي صيغة الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة

في لبنان في فترة (١٩٦٠-١٩٦٧)، وحركات العمل الكاثوليكيّ المتخصّصة في العالم الإيبيريّ - الأميركيّ خلال السّتينات. تفترض هذه الصيغة أنّ هذه الحركات والجمعيّات والتجمّعات الكنسيّة تنشئ أحيانًا مؤسّسات رديفة لتلبية حاجات المجتمع: جمعيّات علمانيّة، نقابات، وسائل إعلام، هيئات، خدمات اجتماعيّة وحتّى أحزاب سياسيّة. وهذه هي تجربة العمل الكاثوليكيّ المتخصّص في لبنان وفي كثير من البلدان ذات الأكثريّة الكاثوليكيّة في الغرب.

أمّا الصيغة الثانية، فتقوم على التزام الحركات والجمعيّات أو التجمّعات الكنسيّة الجماعيّ بالنضالات الاجتماعيّة والسياسيّة، مع اتّخاذ مواقف علنيّة مشتركة. ذاك هو شأن الشبيبة الطالبيّة المسيحيّة الجامعيّة في لبنان، في أواخر السّتينات، و«تجمّع المسيحيّين الملتزمين»، في بداية السبعينات، و«مؤتمر الرؤساء العامّين» مع بداية الحرب في لبنان.

في بلدان أخرى، أدّت هذه الصيغة أحيانًا إلى إنشاء أحزاب سياسيّة مسيحيّة هي عمومًا الأحزاب الديمقراطيّة المسيحيّة أو الاشتراكيّة المسيحيّة و/أو إلى التزامات سياسيّة من قبل السلطة الكنسيّة.

إنّ هذه الصيغة الثانية تنطوي على قبول تعايش خيارات سياسيّة أو اجتماعيّة مختلفة وسط الكنيسة، لأنّ التحليلات السوسيولوجيّة تتأثّر بإيديولوجيّات المحلّلين وقد تختلف حول مسألة واحدة، ممّا يفرض على المسيحيّين الذين يلتزمون بالنضال الاجتماعيّ والسياسيّ قبول هذه الاختلافات.

- التزام مسيحيّي الشرق العربيّ من أجل التحرّر من وضعهم الدونيّ، وذلك في ضوء الإنجيل: هذه هي المسألة الخاصّة المطروحة على اللاهوتيّين والمؤمنين والمتعلّقة بالتزام مسيحيّي الشرق العربيّ بالنضالات الاجتماعيّة والسياسيّة. ذلك بأنّ الالتزام في سبيل التحرّر من وضع دونيّ أو الدفاع عن وضع مساواتيّ هو الحافز الأهمّ لدى مسيحيّي الشرق العربيّ الملتزمين، سواء أعملنًا كان الحافز أم غير معلن.

إنّ المسيحيّين الغربيّين غير مطّلعين عمومًا على هذا النوع من النضالات، باستثناء الاهتمام والتعاطف اللذين أبدوهما أخيرًا تجاه نضال أقباط مصر من أجل المساواة، والنفور المتشر بكثرة بين المسيحيّين الغربيّين، وخاصّة أولئك العائشين في مجتمعات متجانسة، حيال نضال مسيحيّي لبنان من أجل الحفاظ على وضعهم المساواتيّ. غير أنّ هذا النفور تحوّل جزئيًّا إلى تعاطف في السنوات الأخيرة بعدما وعى الغرب حقيقة الصراعات ومجريات الحروب على الساحة اللبنانيّة.

فنحن نرى أنّه لا يمكن، من وجهة نظر مسيحيّة متنوِّرة بالإنجيل، عدم تأييد النضالات الهادفة إلى بلوغ المساواة الاجتماعيّة والسياسيّة، وإن تكن نضالات مسيحيّين.

فقد لا نوافق على التحليل الاجتماعي - السياسيّ وعلى أساليب نضالات الجماعات التي تكافح من أجل الحصول على المساواة أو الحفاظ عليها. ولكن، لا يسعنا إلاّ أن نؤيّد مبدأ نضالات مماثلة. وهنا أيضًا، علينا أن نحذِّر من النزعة العرقيّة الكامنة في تحليلاتنا ومواقفنا.

إنّ النوع الأوّل من التزام المسيحيّين الذين يناضلون من أجل تحرّر المجتمع برمّته يطرح قدرًا أقلّ من المسائل على اللاهوتيّين، وخاصّة الغربيّين منهم، الذين اعتادوا ذلك منذ أكثر من عقد من الزمن. كما أنّه يطرح قدرًا أقلّ من المسائل على المؤمن الغربيّ.

كذلك، فإنّ النوع الثالث من الالتزام، أي التزام «المسيحيّين التعايشيّين»، يطرح هو أيضًا مسائل أقلّ على اللاهوتيّين؛ إذ إنّ التعايش قيمة قلّما هي موضع نقاش من الناحية الإنجيليّة. والمسيحيُّ الغربيّ، خصوصًا ذلك العائش في مجتمع تعدّديّ، قد تعوّده.

إلاّ أنّ النوع الثاني من الالتزام، أي التزام المسيحيّين الذين يناضلون صراحةً للدفاع عن وضع من المساواة المكتسبة بثمنٍ غالٍ على مرّ القرون الماضية في لبنان، أو أحيانًا من أجل مجرّد البقاء كجماعة غير مميَّزة، هو الالتزام الذي يطرح أكبر قدر من المسائل على اللاهوتيّين،

وخاصّة الغربيّين منهم، الذين اعتادوا كون المسيحيّون مضطهِدين لا مضطهَدين.

غير أنّ هذه المسائل ليست لاهوتيّة، وهي تُطرح بوجه خاصّ على مستوى التحليل الاجتماعيّ - السياسيّ، وبدرجة أقلّ على مستوى السيكولوجيا الجماعيّة.

ذلك بأنّه لمّا كانت المساواة قيمة لا جدال فيها من الناحية الإنجيليّة، فإنّ السؤال المطروح هو: ما هي أفضل السبل للوصول إليها أو الحفاظ عليها؟ ولا يبدو لنا أنّه من اختصاص عالِم اللاهوت وحده أن يُجيب عن هذا السؤال.

فالمسيحيّون الذين يلتزمون يُجيبون عنه: لأنّ أصحاب التيّار الأوّل يرون أنّ المسيحيّين ذوي الوضع الدُونيّ يتحرّرون بتحرّر المجتمع بأسره، وأصحاب التيّار الثاني يرون أنّ عليهم أن يناضلوا صراحةً من أجل الحصول على المساواة أو الدفاع عنها، وأصحاب التيّار الثالث يرون أنّ تنظيم التعايش التعدّديّ في إطار تساوي الأوضاع وتوازن موازين القوى هو خير وسيلة لنيل المساواة والحفاظ عليها.

خلاصة

لا يسع التيولوجيا المعاصرة حول الشرق الأوسط إلاّ أن تنظر نظرة إيجابيّة إلى التزام مسيحيّي الشرق العربيّ عمومًا، ومسيحيّي لبنان خصوصًا. لأنّه، مع أنّ النضال من أجل المساواة و/أو الحفاظ عليها هو الحافز الضمنيّ الأقوى، فإنّ الحوافز العلنيّة للتيّارات الثلاثة المذكورة آنفًا:

- النضال من أجل تحرّر المجتمع برمّته،
- النضال من أجل الدفاع عن المساواة،
- والنضال من أجل التعايش،

هي، منفصلةً و/أو مجتمعةً، جديرة بتعاطف اللاهوتيّ والمؤمن على حدّ سواء.

لكنّ مشرقنا العربيّ يدخل الآن في حقبة جديدة من تاريخه لها بعض السمات العامّة، وبعض السمات الخاصّة بمسيحيّي الشرق العربيّ:

- السير في اتّجاه تسوية الصراع العربيّ - الإسرائيليّ؛
- تردّي الأوضاع الاقتصاديّة في معظم دول المنطقة والإفقار الناتج من ذلك، وزيادة اللامساواة الاجتماعيّة لدى أكثريّة السكّان المسحوقين؛
- صعود الحركات الدينيّة الإسلاميّة المتطرّفة، ومن نتائجه تهديد العيش المشترك المسيحيّ - الإسلاميّ في عدّة دول (لبنان، مصر، فلسطين، السودان)؛
- هجرة مسيحيّة في معظم دول المشرق العربيّ تفوق سرعتها المعدّلات المتوسّطة في هذا المجال، وسمات الوضع الحاليّ هذه في المشرق العربيّ تطرح تحدّيات جديدة على مسيحيّي هذا الشرق وتتطلّب من نخبتهم الكنسيّة والمدينيّة جهودًا إضافيّة وخلّاقة على الصعيدين الفكريّ والعمليّ.

صدر عن دار المشرق في مجموعة «مؤلّفات الأب لويس شيخو»